إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثامنة ـ العدد الثلاثون ـ صيف ١٣٩٧ش / حزيران ٢٠١٨م
صص ٥٤ ـ ٣٣

توظيف الرواية التاريخية للسيرة النبوية فى كتاب "الهجرة" لعبدالحميد جودة السحار

حسن سرباز*

ملخص

اهتم المسلمون قديما وحديثا بالسيرة النبوية العطرة وبكل ما يتصل بحياة الرسول الكريم(ص) بمختلف الأساليب وشتى الوسائل. فكان من نتائج هذا الاهتمام، هذه الثروة العظيمة من الكتب المؤلفة فى مولده وسيرته. وقد ساهم الشعراء والأدباء فى تدوين سيرة النبى(ص) وتخليد مناقبه فظهرت منظومات تاريخية وقصائد شعرية عرفت فى تاريخ الأدب العربى بالمدائح النبوية يتحدث فيها الشعراء عن مدح المصطفي وسيرته وغزواته ومعجزاته. وفى العصر الحديث ظهر جيل جديد من كتاب القصة والرواية استهوتهم السيرة النبوية فقاموا بتوظيف فنّهم القصصى والروائى لأحداث السيرة النبوية الكريمة وبذلک مزجوا بين الفن والتاريخ وبين الدين والأدب. ومن هؤلاء الكتاب عبدالحميد جودة السحار الذى اتجه إلى توظيف الفن القصصى للسيرة النبوية برؤية إسلامية، فكتب سيرة رسول الرحمة(ص) فى سلسلة من القصص تحت عنوان «محمد رسول الله والذين معه» فى عشرين جزءا. ويهدف هذا البحث مستفيدا من المنهج الوصفى التحليلى إلى دراسة توظيف الرواية التاريخية للسيرة النبوية فى كتاب «الهجرة» من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» لعبد الحميد جودة السحار ملقيا الضوء علي كيفية المزج بين السيرة النبوية والفن القصصى فى هذا الكتاب. ووصلت الدراسة إلى أن السحار استعان لبيان حوادث السيرة النبوية فى كتاب «الهجرة» بالسرد القصصى واعتمد فى عرض الحوادث ورسم الشخصيات علي طريقة السرد المباشر والتزم فى تصوير شخصياته بالواقعية واتبع فى رواية الأحداث التسلسل الزمنى، واستفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنيّة بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق». واكتفي السحار بالأماكن التاريخيّة التى كانت مسرحا لأحداث السيرة النبوية فى الفترة التاريخيّة المحدّدة. وأكثر من استخدام الحوار.

الكلمات الدليلية: السيرة النبوية، عبد الحميد جودة السحار، الرواية التاريخية، كتاب الهجرة.

---

*. أستاذ مشارک بجامعة كردستان، سنندج، إيران
gmail.com@h.sarbaz١٣٥٣

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/١/١٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٧/٥/١٩ش

١- المقدمة

اعتمد كتاب القصّة والرواية فى الأدب العربى المعاصر علي التاريخ كمصدر أساسى لإحياء التراث العربى والإسلامى، فكان التاريخ الفرعونى وتاريخ العرب قبل الإسلام، والتاريخ الإسلامى، والتاريخ المعاصر مصادر للقصّة العربية استلهم منه الكتاب وفق تصوّرهم وخط سيرهم الفكرى، وبذلک «يكاد يكون الأديب متخصصاً فى تيار حضارى معيّن، يعبِّر به عن وجهة نظره فى تحديد نوع الحضارة التى يجب أن نستلهم.» (وادى، ١٩٩٤: ١٦٤)

واللجوء إلى التاريخ ليس هروباً من الواقع، بل هو محاولة لفهم التاريخ والتبصّر فيه والاتّعاظ به والاستفادة منه لبناء مستقبل أفضل، وحين يصبح التاريخ مادة للرواية «يصير بعثاً كاملاً للماضى، يوثّق علاقتنا به ويربط الماضى والحاضر فى رؤية فنية شاملة فيها من الفن، روعة الخيال ومن التاريخ، صدق الحقيقة.» (المصدر نفسه: ١٥٤)

ويعتبر التاريخ الإسلامى معيناً خصبا للرواية التاريخيّة، لأنه يمتدّ طولاً وعرضاً وزماناً ومكاناً، فزمانه خمسة عشر قرناً، ومكانه يمتدّ من الأندلس والمغرب إلى أندونيسيا، ومن بلاد القفقاس إلى اليمن وأواسط أفريقيا، وهو تاريخ ملىء بالأحداث والأشخاص ونشوء الدول وانحدارها، والغزوات الحربية والنكبات الداخلية. (جرار، ١٩٩٨: ١٩٨)

فيستطيع القاص والروائى أن يستلهم هذا التاريخ فى قصصه ليبرز مُثله وقيمه، ويصوِّر ملامح الشخصيات الإسلاميّة البارزة كنماذج للإنسان الكامل فى المجالات المختلفة، ويعالج قضايا الإنسان المعاصر، ويعبِّر عن همومه ومشاكله من خلال وسائله الفنيّة التى يستعين بها فى بلورة أفكاره وعرض قضاياه.

وتأتى السيرة النبويّة فى مقدمة الموضوعات التاريخيّة التى استهوت الأدباء وكتّاب القصّة التاريخية، فقاموا بتقديم سيرة النبى(ص) وتصوير الفترة والبيئة التى عاش فيها بأحداثها وأشخاصها باعتبارها النموذج الأعلي للمسلمين عبر العصور من خلال قصص فنية اعتمدوا فيها علي التاريخ كركيزة أساسية. واتخذت هذه الكتابة اتجاهات مختلفة ومناهج متباينة تتفق وفلسفة القاص أو منهجه أو غايته، فكتب طه حسين كتاب "علي هامش السيرة" سنة ١٩٣٣م خلط فيها بين بعض حقائق السيرة وبعض الأساطير

المختلفة، حيث قال فى مقدمته: «وأحبّ أن يعلم الناس أنى وسعت علي نفسى فى القصص، ومنحتها من الحرّية فى رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً إلاّ حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبى(ص)، أو بنحو من أنحاء الدين؛ فإنى لم أبح لنفسى فى ذلک حريّة ولا سعة وإنما التزمت ما التزم المتقدّمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين.» (حسين، لاتا، ج١: ک)

وأخرج طه حسين هذا الكتاب فى صورة فنّية جذّابة، وبذلک قد مهّد الطريق لمحاولات التوظيف الروائى لأحداث السيرة النبويّة مع ما يؤخذ عليه من عدم التمحيص فى بعض الروايات والاعتماد علي الأساطير المختلفة.

وبعد كتاب "علي هامش السيرة" تتابعت الأعمال الأدبية التى تستلهم السيرة النبويّة أو جانباً منها، ومنها "الثائر الأعظم – ١٩٥٤م «لفتحى رضوان، و"محمد رسول الحريّة – ١٩٦٤م» لعبدالرحمن الشرقاوى.

وكتب عبد الحميد جودة السحار سيرة رسول الرحمة(ص) فى سلسلة من القصص تحت عنوان «محمد رسول الله والذين معه» فى عشرين جزء تناول فيها أبرز أحداث السيرة النبوية ملتزما بالعناصر الأساسية للقصة الفنية. وحاول السحار فى هذه السلسلة أن يلتزم بالحقيقة التاريخية فى قصص السيرة النبوية ويستخرجها من المصادر الأصلية المعتمد عليها دون أن يهمل ذاتيته فى عملية الاختيار والترجيح للروايات المتعددة ودون أن يخل بفنية عمله الأدبى، فالتزم بالشكل الفنى للقصة مستخدما عناصرها الفنية مثل الشخصيات والحبكة والوصف والحوار و... أحسن استخدام.

و يهدف هذا البحث مستفيدا من المنهج الوصفى التحليلى إلى دراسة التوظيف الروائى للسيرة النبوية فى كتاب «الهجرة» من مجموعة «محمد رسول الله و الذين معه» لعبد الحميد جودة السحار ملقيا الضوء علي كيفية المزج بين السيرة النبوية والفن القصصى فى هذا الكتاب.

١-١- أسئلة البحث

١- لماذا اتجه عبدالحميد جودة السحار إلى الرواية التاريخية فى كتابة السيرة

النبوية؟

٢- كيف استفاد عبدالحميد جودة السحار من التقنيات الفنيّة للرواية التاريخيّة فى كتاب "الهجرة" من مجموعة "محمد رسول الله والذين معه"؟

١-٢- الدراسات السابقة

هناك دراسات متعددّة تطرّقت إلى حياة عبدالحميد جودة السحار وآثاره وأفكاره من زوايا مختلفة نشير إلى بعض منها علي سبيل المثال لا الحصر:

تحدّث صفوت يوسف زيد (١٩٨٥م) فى كتاب «التيّار الإسلامى فى قصص عبدالحميد جودة السحار» عن الاتجاه الإسلامى فى آثار السحار القصصيّة مقسّما آثاره إلى الروايات التاريخية، والروايات الاجتماعية، والمجموعات القصصيّة وقصص الأطفال. وأجري محمد شلبى (١٩٤م) فى مجلة «الجديد» حوارا مع السحار قبيل وفاته بعنوان «آخر حديث مع السحار» ناقش معه الهدف من كتابة مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» ومنهجه فيها. (شلبى، ١٩٧٤م: ٤٦). وتطرّق السيّد حسن قرون فى بحثه المنشور فى مجلة الأزهر تحت عنوان «كتاب الشهر، الهجرة» إلى دراسة كتاب «الهجرة» دراسة مضمونيّة دون أن يتطرق إلى التقنيات الفنّية المستخدمة فى الكتاب وأشار فى نهاية البحث إلى بعض الملاحظات المضمونية حول الكتاب. (قرون، ١٤٠١ق: ٢٢٠-٢٢١) ودرس محمد رجب البيومى (١٤٢٢ق) فى مقالة «عبدالحميد جودة السحار فى قصصه الإسلامى»، الاتجاه الإسلامى فى آثاره القصصية.

وتطرّق جهانگير أميرى وزملاؤه (١٣٩٣ش) فى مقالة «قصّة وسوسة الشيطان لجودة السحار، دراسة وتحليل فى ضوء التقنيات الجديدة فى فن كتابة القصّة» إلى بعض التقنيات الجديدة فى هذه القصّة. وتحدّث على صابرى ومصطفي يگانى (١٣٩٤ش) فى مقالة « الشخصيّة الدينيّة فى روايات عبدالحميد جودة السحار الاجتماعيّة»، عن الشخصيّات الدينيّة وكيفيّة عرضها عند السحار.

٢- عبدالحميد جودة السحار ومجموعة "محمد رسول الله والذين معه"

ولد عبدالحميد جودة السحار الأديب والروائى الإسلامى المصرى سنة ١٩١٣م فى القاهرة ونشأ وترعرع فيها وتخرّج فى كلّيّة التجارة بجامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٧م

وعمل فى عدّة وظائف حكوميّة منها مترجم فى سلاح الطيران الملكى ومدير بوزارة التجارة والصناعة ورئيس مجلس إدارة الشركة العامة للتجارة بوزارة الاقتصاد ورئيس مؤسسة السينما والمسرح والموسيقي. وتوفى سنة ١٩٧٤م فى القاهرة.

وقد ظهرت نزعته الأدبية والقصصية منذ فترة مبكرة من حياته حينما كان تلميذا فى المدرسة الابتدائيّة فقرأ للمازنى ومحمود تيمور وفريد أبوحديد وتوفيق الحكيم وعلي حد تعبيره كل ما تصل يده إليه من قصص وروايات. (جودة السحار، القصّة من خلال تجاربى الذاتيّة: ٥-٦) وفى الجامعة تعرّف علي الآداب الأوروبيّة فقرأ «قصّتى المفضّلة» وهى مجموعة أقاصيص لأشهر كتّاب إنجليز ومنتخبات من أشهر المسرحيّات الإنجليزيّة. (المصدر نفسه: ٦)

و بعد أن جمع ثروة علميّة وأدبيّة ضخمة، اتّجه إلى الكتابة والتأليف فلمع نجمه فى مجال الصحافة والقصّة والرواية والسينما والدراسات الأدبيّة والإسلاميّة ولكن وجّه جلّ اهتمامه إلى كتابة القصّة والرواية فأصدر فى الفترة ما بين ١٩٤٣م و١٩٧٤م آثاره القصصيّة بصور مختلفة من رواية تاريخية واجتماعية، وقصص قصيرة، وقصص للأطفال. ففى مجال الرواية التاريخية كتب روايات «أبوذر الغفارى – ١٩٤٣م»، و«بلال مؤذّن الرّسول – ١٩٤٤م»، و«سعد بن أبى وقاص – ١٩٤٥م»، و«أبناء أبى بكر الصدّيق – ١٩٤٦م»، و«أهل بيت النبيّ – ١٩٤٨م»، و«أميرة قرطبة – ١٩٤٩م»، و«المسيح عيسي ابن مريم – ١٩٥١م»، و«محمد رسول الله والذين معه» فى عشرين جزء صدر الجزء الأوّل منها سنة ١٩٦٥م، وصدر الجزء الأخير منها سنة ١٩٧٠م، و«عمر بن عبدالعزيز – ١٩٧٢م». وفى مجال الرواية الواقعية الاجتماعية كتب روايات: «فى قافلة الزمان – ١٩٤٧م»، و«النقاب الأزرق – ١٩٥٠م»، و«الشارع الجديد – ١٩٥٢م»، و «المستنقع – ١٩٥٧م»، و«أُم العروسة – ١٩٥٨م»، و«وكان مساءً – ١٩٥٨م»، و«الحصاد – ١٩٥٩م»، و«جسر الشيطان – ١٩٦٢م»، و«الحفيد – ١٩٧٤م». وله فى مجال القصّة القصيرة مجموعات قصصيّة: «فى الوظيفة – ١٩٤٤م»، و«همزات الشياطين – ١٩٤٦م»، و«قصص من الكتب المقدّسة – ١٩٥٢م»، و«أرملة من فلسطين – ١٩٥٩م»، و«ليلة عاصفة – ١٩٦٣م»، و«خفقات قلب» صدر بعد موته سنة ١٩٨١م. (زيد، ١٩٨٥م:

٢٨٦-٢٨٨)

وأما فى مجال قصص الأطفال فقد أصدر سلسلة قصصيّة مشتملة علي خصائص الصياغة الفنية من ناحية الشكل والمضمون، يهدف فيها إلى بثّ الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة فى نفوس الصغار من خلال العرض القصصى للتاريخ الدينى فى صورة مبسطة تتناسب مع مداركهم وفترة نموّهم، فأصدرها فى أربع حلقات تتضمن الأُولى منها معالجته الفنّية لقصص الأنبياء وكان إصدار هذه الحلقة بالمشاركة مع سّيد قطب، والثانية تضمّنت بالعرض قصص السيرة النبويّة، والثالثة جاءت حافلة بقصص الخلفاء الراشدين، أمّا الحلقة الرابعة فقد تناول الكاتب فيها بالمعالجة حياة العرب فى أوروبا وما واجههم من مشكلات وما قاموا به من فتوحات حتى آخر أيامهم بالأندلس. (المصدر نفسه: ٢٣٨)

ومن أهم ما كتبه السحار فى مجال الرواية التاريخية هو موسوعة «محمد رسول الله والذين معه» فى عشرين جزء تحدّث فى الأجزاء الخمسة الأُولى عن «أبو الأنبياء إبراهيم»، و«هاجر المصريّة أُم العرب»، و«بنو إسماعيل»، و«العدنانيّون»، و«القريش»، وبعد ذلک بدأت الأجزاء الخاصّة بالسيرة النبويّة بـ «مولد الرّسول» وانتهت بـ «وفاة الرّسول»، تناول فيها أبرز أحداث السيرة النبويّة وتتبّع حياة الرّسول منذ ولادته، وما أحاط به من قيم المجتمع الجاهلى وعاداته وعقائده، وكيف عاش رسول الله(ص) معها فى طفولته وصباه وشبابه ورجولته حتى بعثه الله بالنبوّة والهداية فدعا إلى الله علي وعى وبصيرة وأخرج عباد الله من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. (المصدر نفسه: ٧١)

وكان السحار مولعاً بالسيرة النبويّة منذ طفولته حينما كان يشارک مع أبيه فى المجالس الليليّة ويستمع إلى قراءة «السيرة النبوية» لابن هشام و «علي هامش السيرة» لطه حسين وكانت كتابة السيرة النبويّة بالأسلوب القصصى من أمنيّاته القديمة. يقول السحار فى ذلک: «وشببت وأنا معجب بمحمّد رسول الله(ص) فلمّا عرفت كيف أقرأ، عكفت علي قراءة كتب السيرة وما كتب عن الرسول الكريم فازداد إعجابى بشخصيّته الفذّة الفريدة. وهويت الكتابة فكانت أمنيّتى مذ حملت القلم أن يوفّقنى الله إلى

كتابة السيرة النبويّة فى أسلوب قصصى يجذب القارىء.» (جودة السحار، أبوالأنبياء إبراهيم: ٢٦١)

وبيّن السحار غرضه من كتابة السيرة النبويّة بهذا الأسلوب قائلاً: «وما أردت بكتابة هذه السيرة فى هذا العصر الذى طغت فيه الماديّة إلا أن أعرض حقبة مشرقة من تاريخ البشريّة ارتفع فيها الإنسان حين أسلم وجهه لله ورفع عبادته من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة، حقبة تحرّر فيها من العبوديّة... أردت بهذه السيرة أن أفسّر التاريخ تفسيراً روحيّاً وأن أطهّر ضمير الإنسان من أدران الماديّة الطاغية وأن أعيد إليه رفاهيّته التى بلغت غايتها فى ظل الدين، وأن أعيد إلى الإنسان كرامته التى تتألّق وتزكو كلّما سما فوق مطالب الأبدان وضرورات الغرائز وما تهفو إليه النفوس.» (المصدر نفسه: ٢٦٨)

وقد اعتمد السحار فى كتابة هذه السيرة علي القرأن الكريم وعلي الأحاديث النبويّة والتوراة وكتب التاريخ فيما يتفق مع القرآن وطبيعة الدعوة وصفات الرسول(ص). (شلبى، ١٩٧٤م: ٤٦)

واختار السحار الأسلوب القصصى لكتابة السيرة مع أنه كان عالما بصعوبته ولكن مع ذلک حاول أن يحافظ علي الحقائق التاريخيّة وهو يقول فى ذلک: «اخترت أن أكتب السيرة بأسلوب قصصى وأنا علي علم بما يعانيه كاتب التاريخ من مشقة إذا حاول أن ينهج فى كتابته نهج القصّة... حاولت جهدى وإن كنت أكتب قصّة أو ما يشبه قصّة أن أحافظ علي الحقيقة التاريخيّة، فما من حادثة دوّنتها إلا ولها سند. وقد محّصت الروايات المختلفة واخترت أقربها إلى المنطق وروح الدعوة، وإن تعارضت مع ما ورد فى التوراة أو بعض الأحاديث أو مع المتواتر بين المؤرخين.» (جودة السحار، أبوالأنبياء إبراهيم: ٢٦٢)

والأسلوب القصصى الذى اختاره الكاتب لايسمح له أن يتطرّق إلى دراسة الآراء المختلفة حول بعض الموضوعات فى السيرة النبويّة، ولذلک كتب فى آخر كل جزء من أجزاء المجموعة تذييلا تحدّث فيه عن هذه الآراء المختلفة وهو يقول فى ذلک: «...كما عزمت أن أدوّن فى نهاية كل جزء من أجزاء السيرة الأفكار التى تصارعت فى ذهنى قبل أن أطمئنّ إلى الرأى الذى دوّنته فى ثنايا الكتاب ليطّلع القارىء علي كل وجهات

النظر لعلّ الله ينير بصيرته فيري أصوب مما اطمئنّ إليه قلبي.» (المصدر نفسه: ٢٦٣)

٣- الأسلوب القصصى فى كتاب الهجرة

كتاب الهجرة هو الجزء الحادى عشر من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» تحدّث فيه السحار عن هجرة رسول الله(ص) وأصحابه من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، ولكنه لم يبدأ الكتاب بالهجرة مباشرة، بل بدأه بالحديث عن عام الحزن الذى تألّم فيه رسول الله(ص) بسبب فقد عزيزيه عمّه أبى طالب وزوجته الوفيّة خديجة بنت خويلد، ثم تحدّث عن ضيق النبيّ(ص) بمكة بعد فقد هذين العزيزين وكيف أكرمه الله فى الأرض والسماء بعد كلّ ما عاناه من ضيق وألم فآمن به الجنّ فى الأرض حينما رجع من الطائف وسمعوه يتلو القرآن فى «نخلة» وأسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصي المبارک ثم عرج به فى السماء فكان قاب قوسين أو أدنى. ثم تحدّث عن موقف قريش من رحلة الإسراء والمعراج وإنكارهم له وتصديق أبى بكر الصدّيق لما أخبر به دون توقّف ولا ترديد.

وبعد ذلک أشار إلى اللقاء الخالد بين رسول الله(ص) ووفد من الخزرج وإسلامهم ثم بيعة الأنصار فى العقبة ومؤامرة قريش للفتک بالنبى ثم دور على بن أبى طالب فى إفشال مؤامرة قريش ونومه فى فراشه وهجرته مع أبى بكر إلى المدينة وما حدث لهم فى الطريق. ثم تحدّث عن استقرار رسول الله(ص) فى المدينة وهجرة الصحابة إليها والمؤاخات بين المهاجرين والأنصار وتكوين المجتمع المسلم والدولة الإسلاميّة. وبعد ذلک تطرّق بإسهاب إلى مواقف اليهود والمنافقين العدائيّة تجاه رسول الله والمسلمين فى المدينة المنوّرة.

وأنهي السحار الكتاب ببوادر الغزوات وخروج قريش لمهاجمة المدينة للقضاء علي محمد(ص) والمجتمع الإسلامى فيها بعد ما تعرّض المسلمون للقافلة التجاريّة القادمة من الشام التى كان يقودها أبوسفيان. ونقرأ فى نهاية الكتاب: «وخرجت قريش فى عدتها وغرورها وهى واثقة من القضاء علي محمد عليه السلام وأصحابه من المهاجرين والأنصار، ولو رفعت أسجاف الغيب وألقوا أسماعهم إلى صوت قدر الله، لسمعوا النذير

يقول فى وضوح: يا قوم والله ما تساقون إلاّ لمصارعكم.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٨٧) عالج السـحّار كلّ هذه الموضوعات برؤية إسلاميّة وروح أدبيّة ونزعة تاريخيّة. (قرون، ١٤٠١ق: ٢٠٠-٢٠١)

هذا من ناحية المضمون، وأما من ناحية الشكل الفنى فإنه استعان بالسرد القصصى يصف به الشـخصيات التاريخيّة ويحرّكها فى إطارهـا التاريخى ويقرّب بخياله القصصى صور هؤلاء الأبطال وعلي رأسـهم الرسـول العظيم(ص)، ولذلک فعل ما يفعله كتّاب القصّة الفنّيّة، فجعل يرسم الشخصيات ويربط الأحداث بعضها ببعض فى سياق متكامل متتبّعـا تطورها ومراحـل نموّها حتى يصل إلى النهاية، متوسّـلا فى ذلک بالخيال الفنّى الذى يعنى باختيار الحقائق من واقعها وترتيبها ترتيبا فنيّا واقعيّا بالقدر اللازم مبتعدا به عن تراكم الحقائق الذى يقع فيه المؤرّخ ومتحاشيا من الخيال الكاذب الذى يتوسّل به الكثير من الأدباء. (زيد، ١٩٨٥م: ١٠١-١٠٢) وفى هذا القسم من البحث نقوم بدراسة الجانب الفنى والروائى فى كتاب الهجرة.

١-٣- السرد وطريقة عرض الحوادث

يعتبر السـرد من العناصر الأساسية فى الرواية، وذلک لأنّ عملية الحكى تقوم علي دعامتين أساسـيّتين وهما القصّة التى تضمّ أحداثا معيّنة، والطريقة التى تحكي بها تلک القصّة، وتسمّي هذه الطريقة سرداً. (لحميدانى، ١٩٩١م: ٤٥) وهناک طرق مختلفة لسرد حوادث القصّة وتطويرها، ومنها طريقة السـرد المباشـر وطريقة السـيرة الذاتية. ففى الطريقـة الأولى يسـرد القاص الأحـداث فى تتابع، ويقدِّم أشـخاص القصّة، ويصرِّف تصرّفاتها، ويحلِّل أفعالها، ويسـّير بالأحداث والشـخصيّات السـير الطبيعى حتى تبلغ الأحداث نهايتها. (جودة السحار، القصّة من خلال تجاربى الذاتيّة: ٤٠) ويعتمد الكاتب فى هذه الطريقة علي السرد بضمير الغائب، فيسرد ما تقوم به شخيصات قصّته وما تدور فى نفوسـهم عن زاوية رؤية إحدي شـخصيّات القصّة أو خارجها. وتتيح هذه الطريقة للقـاص أن يتتبّع جميع شـخصيّات القصّة، وأن يعيش معهم، ويعـرض كلّ ما يهمّه من تصرفاتهم، وما تختلج به نفوسـهم، وما يعتمل فى صدورهم، وما يدور فى رؤوسـهم، وما

يشـتجر بينهم من صراع، وأن يحرِّك الشـخصيّات ويرسم الأمكنة والمواقف كما يشاء. (المصدر نفسه: ٤٠)

وفى الطريقة الثانية يكتب القاص قصته بضمير المتكلّم ويضع نفسـه مكان البطل أو البطلة، أو مكان إحدي الشخصيات الثانوية، ليبثّ علي لسانها حوادث القصّة الواقعية أو المتخيّلة، فإن كانت الحوادث ممّا قام بها الراوى نفسـه، يسـمي الراوى «الراوى – البطل» وإن لم تكن الحوادث من صنعه، بل كانت ممّا شاهدها الراوى فى القصّة، يسمي الراوى «الراوى – الناظر». (ميرصادقى، ١٣٦٤ش: ٢٥٠)

ونشـأ استعمال ضمير المتكلم متواكبا مع ازدهار أدب السيرة الذاتيّة فكأنّه امتداد لها أو امتداد منه، كما نشـأ عن ازدهار حركة التحليل النفسى التى كان تأثيرها عميقا فى الفكر الغربى. إنّ ضمير المتكلم نشأ فى الغالب ليتضادّ مع البعد التاريخى الذى يجسّده ضمير الغائب. (مرتاض، ١٩٩٨م: ١٨٩)

ويعتمد السـحّار غالبا فى كتاب «الهجرة» لعرض حوادث القصة وتطويرها، ورسم شـخصياتها، علي طريقة السرد المباشر، أى السـرد بضمير الغائب، التى يجعل للكاتب عادة حضـوراً ملحوظاً فى القصّة، وتجعل القارئ يحس بالملـل والرتابة أحيانا، إلاّ أنه تغلّـب علي هذه الرتابة السـردية بوسـائل فنية متعدّدة مثل الوصـف الحى، والحوار، والمونولـوج الداخلى بعض الأحيان. وفى بعض المواضع المحـدودة يعتمد علي الطريقة الثانية أى السرد بضمير المتكلم.

وفى الطريقة الأولى، الراوى والسارد فى كتاب «الهجرة» هو راوٍ غير مشارك يبتعد عن شـخصيات الرواية ويختلف موقعه عن مواقعهـا وينظر إليها نظرة الراصد الملاحظ لأفعالهـا من بعيد أو نظـرة المتتبّع لأخبارها فقط (الكـردى، ٢٠٠٢: ١٢٠)، وهو ليس شخصية من شخصيات القصّة وليس له دور فى أحداثها إلاّ السرد والرواية. ففى بداية الكتاب نقرأ: «تألّم رسـول الله(ص) ألما شـديدا فى عام الحزن، فبعد عشـر سنوات من دعوتـه، مات عمّه أبوطالب الـذى كان يمنع أذي قريش عنه قبـل أن يصبح له أنصار أقويـاء يمنعونه ويقومـون معه يقاومون طغيان الكافرين، ويعملون جاهدين علي نشـر أنوار اليقين فى قلوب الناس الراغبين فى جوهر الحقيقة.» (جودة السحار، الهجرة: ٤)

ويقول السحار حول قدوم رسول الله(ص) وصاحبه الصدّيق إلى المدينة: «وكان رسول الله عليه صلواته وسلامه وأبوبكر الصديق وعامر بن فهيرة والدليل يتقدّمون وقد حفّ بهم بريدة وقومه مستبشرين بأن هداهم الله إلى النور، وعلي مدي البصر لاحت قافلة قادمة،لم تكن قافلة من قوافل قريش بل ركباً من المسلمين كانوا تجّارا قافلين من الشام.» (المصدر نفسه: ١٢١) وفى هذه الطريقةلم يستفد السحار من الراوى المشارک الذى يشارک الشخصيات فى صناعة الأحداث وتطويرها.

وقد يعتمد فى هذا الكتاب علي الطريقة الثانية للسرد ويستفيد من ضمير المتكلم فيقول علي لسان سلمان الفارسى وكان يروى ما حدث له فى طريقه إلى المدينة وبحثه عن الحقيقة: «ومكثتُ بعموريّة ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بى نفر من كلب تجّار فقلتُ لهم احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه، قالوا: نعم. فأعطيتهموها وحملونى معهم حتى إذا بلغوا وادى القري ظلمونى فباعونى من رجل يهوديّ عبدا، فكنتُ عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى... فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ما هو إلاّ رأيتُها فعرفتها بصفة صاحبى فأقمتُ بها.» (المصدر نفسه: ١٥٠) والراوى هنا هو أحد أشخاص القصّة وأحد المتورطين فيها ولذلک يسمّي الراوى البطل كما يصنّف هذا الراوى عادة باعتباره ساردا من داخل الحكاية، ساردا مشاركاً. (خليل، ٢٠١٠م: ٧٨)

٣-٢- الشخصيّات

الشخصيّة من العناصر الفنيّة الأساسيّة فى الرواية بحيث لا يمكن أن تخلو أية رواية من الروايات عنها. ولابدّ أن تتحرّک الشخصيّات علي صفحات الرواية حركة الأحياء، لأنّ شخصيّات الرواية وأبطالها هم الذين تدور حولهم الأحداث، وهم الذين يفعلون الأحداث ويؤدّونها. وشخصيّات الرواية قد تكون شخصيات واقعية يأخذها الكاتب من التاريخ أو من واقع المجتمع وقد تكون شخصيات خيالية يأخذها من وحى خياله.

وهناک طرق مختلفة لتقديم شخصيّات الرواية وعرض أبطالها والتطوّر بهم وكشف

جوانبهم. فبعض الكتّاب يعمّدون فى رسم شخصيّاتهم إلى وسائل مباشرة أو الطريقة التحليليّة، وبعضهم يستفيدون من الوسائل غير المباشرة أو الطريقة التمثيليّة، «ففى الحالة الأُولى يرسم الكاتب شخصيّاته من الخارج، يشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقّب علي بعض تصرّفاتها، ويفسِّر البعض الآخر، وكثيراً ما يعطينا رأيه فيها صريحاً دون ما التواء، أما فى الحالة الثانية فإنّه ينحِّى نفسه جانباً ليتيح للشخصيّة أن تعبِّر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرّفاتها الخاصّة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيّات الأخري عنها وتعليقها علي أعمالها.» (نجم، ١٩٧٩م: ٩٨) وفى الطريقة الثانية قد يعمد الكاتب لعرض شخصياته إلى الحوار بين الشخصيّة والشخصيات الأخري، أو بين الشخصيّة ونفسها.

وشخصيات السحار فى رواية «الهجرة» شخصيات واقعيّة أخذها من التاريخ والشخصيّة الأصليّة فيها هى شخصيّة رسول الله(ص) التزم السحار فى تصويرها بالواقعيّة ولم يسمح لنفسه أن يطلق عنان خياله فى هذا المجال وذلک «لأن إجلاله لنبيّه يمنعه أن يستفيض فى تحليل نفسى لمشاعر قد لاتكون لها نصيبها من الواقع الصحيح، لأن الشخصيّة المقدّسة ذات الجلال الغامر لايبلغ إنسان ما مدي تفكيرها وتصوّرها بالغاً مابلغ.» (البيومى، ١٤٢٢ق: ١٢٨) إلى جانب شخصية الرسول يمكن العثور علي عدد هائل من الشخصيات فى هذه الرواية لها منازع متعدِّدة ومشارب مختلفة، من الصحابة المهاجرين والأنصار والمشركين والمنافقين واليهود.

ويستفيد السحار لتقديم شخصياته وعرض أبطاله، من الطريقة المباشرة أوالتحليلية، فيرسم شخصياته من الخارج فيشرح عواطفها وأفكارها وأحاسيسها، وقد يعمد إلى الطريقة غير المباشرة أوالتمثيلية، فينحِّى بنفسه جانباً ليتيح للشخصية أن تعبِّر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصّة، وفى هذه الطريقة يستفيد من تقنيّة الحوار بين الشخصيات بعضها مع بعض، أو بين الشخصية ونفسها.

ففى الطريقة الأولى قد يقوم السحار برسم شخصياته بالوصف الظاهرى دون أن يغور فى أعماقهم، فيقول مثلا فى توصيف «سودة» زوجة النبي: «كانت سودة ثقيلة الجسم وكانت عاطلة من جمال وكانت مسنّة، وكانت تعرف أنّ الرسول لم يتزوّجها إلاّ

ليمسح عنها ما قاست من أهوال فى سبيل الله.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٩) وفى موضع أخر يصف أحد المنافقين باسم نبتل بن الحارث وصفاً مقذعا يجعله منفورا مطرودا أمام أعين القرّاء فيقول: «كان نبتل رجلا جسيما مسترخي الشفتين ثائر شعر الرأس أحمر العينين، كبده أغلظ من كبد الحمار، وكان ذا وجهين يجلس إلى الرسول عليه السلام بوجه ويقبل علي المنافقين بوجه أخر، فكان إذا ما جلس إليهم هوّن من شأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد كشف أمره القرآن وقال رسول الله فيه: من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث.» (المصدر نفسه: ٢٠٢)

ولا يكتفى السحار فى رسم شخصياته بهذا الوصف الظاهرى للشخصية، بل قد يغور فى نفسها ليكشف للقارىء ما يدور فى أعماقها، وذلک عن طريق تحليل عواطفها فى مواقفها من الأحداث القصصية، أو من خلال رصد حديث النفس الذى يدور فى أعماقها. فيصوّر مثلا الحالة الروحيّة والعاطفيّة لرقيّة بنت النبىr بعد أن رجعت مع زوجها عثمان بن عفان من الحبشة واستقبلتهما أختاها أم كلثوم وفاطمة وأم المؤمنين سودة بنت زمعة وتذكرت أمّها خديجة بنت خويلد قائلاً: «وساروا فى الممرّ الطويل ثم صعدوا فى الدرج فإذا بقلب رقيّة ينقبض، فعمّا قليل ستقع عيناها علي غرفة الآمّ الرؤوم، وجعلت تقاوم حتى لاتنهار وسارت معهم وهى غائبة عنهم بما يعتمل فى نفسها من انفعالات، إنّ الدموع تبلّل روحها وإنّ وقدة نار قد استقرّت فى حنجرتها حتى لم تعد تقوي علي الكلام، وفجأة ندت منها صرخة أعقبها نداء حنون لكأنّما كان خنجرا مزّق الأكباد: أماه! أماه!» (المصدر نفسه: ٨٧) ويصف الحالة الروحية لزينب بنت النبى(ص) بنفس الصورة. (المصدر نفسه: ٢١٠)

وفى موضع آخر يصف ما جال فى صدر صفيّة بنت حيى بن أخطب حينما كانت تري أباها وعمّها أبا ياسر يدوران حول رسول الله(ص) ويقطران حقداً وضغينة علي الرجل الذى جاء يدعو إلى المحبة والسلام ويقول: «إنّها تحسّ عطفا علي رسالته بل حماسة إلى دعوته، وإنّ همسا غريبا يهجس فى أغوار أغوارها أن سيكون لها شأن فى حياة النبىّ عليه السلام. ولو رفعت عن بصيرتها حجب الغيب لرأت نفسها زوجة للرسول صلوات الله وسلامه عليه ولخفق قلبها سرورا وتهلّلت بالفرح بأن منّ الله عليها بأن تصبح أمَّ

المؤمنين.» (المصدر نفسه: ٢٠٨)

وقد يستفيد السحار لرسم شخصيّاته من الطريقة غير المباشرة فيتيح للشخصيّة أن يعبّر عن نفسها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصّة. فمن خلال مايقوم به أبوجهل وأبولهب نستطيع أن نتعرّف علي شخصيّتهما وما يكنّانه من حقد وضغينة تجاه رسول الله(ص) ودعوته كما نتعرّف علي شخصيّة عبدالله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى المدينة و شخصية حيى بن أخطب من أحبار اليهود فى المدينة من خلال ما يقومان به من دسائس وحيل لتشويه صورة الإسلام وإشعال نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار وبين الأوس والخزرج.

وفى هذه الطريقة قد يعمد السحار إلى أسلوب الحوار لرسم شخصياته بحيث يمكن التعرّف علي الشخصيات من خلال الحوار الذى يجريه الكاتب علي ألسنتهم. ففى قصة الإسراء والمعراج وبعد أن قصّ رسول الله علي أهل مكة ما رآه من آيات ربّه الكبري فكذّبه المشركون وتردّد بعض المسلمين، يجرى حوارا بين بعض المسلمين وأبى بكر الصديق يلقى الضوء من خلاله علي شخصيّة أبى بكر وصدق إيمانه فيقول: «وقال بعض المسلمين الذين كانوا يتأرجحون بين الإيمان والكفر:

– نحن لانصدّق محمدا بما يقول. وسعوا بذلك إلى أبى بكر... فلما التقوا بابن أبى قحافة قالوا فى فزع:

– هل لک فى صاحبک؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس.

_ أو قال ذلک؟

فقال أبوبكر فى هدوء:

– لئن كان ذلک لقد صدق.

فرموه بنظرة منكرة فقالوا:

– أفتصدّقه أنّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟

فقال أبوبكر فى صدق: نعم إنى أصدّقه فيما هو أبعد من ذلک.» (المصدر نفسه: ١٥)

فيستطيع القارىء أن يفهم من هذا الحوار ماكان عليه الأصحاب من سلامة الفطرة وعمق الإيمان وصدق اليقين بكل ما جاء به رسول الله(ص).

٣-٣- الحوادث

للحوادث فى القصّة الفنيّة مكانة مرموقة حيث تتجلّي فيها الفكرة، وتظهر من خلالها الغايــة، كما أنها تلقى الضوء علي جوانب مختلفة من شــخصيّات القصّة وتكشــف عن طبيعتهــا، وأن تطويــر الحوادث هو الــذى «يبعث فى القصّة القوّة والحركة والنشــاط، وهو العصا الســحريّة التى تحرِّك الشــخصيّات علي صفحات القصّة، وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخري، حتى تؤدى إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة التى تطمئنّ إليها نفس القارئ بعد طول التجوال.» (نجم، ١٩٧٩م: ٣١)

وعلي الكاتب أن يجمع حوادث قصّته بصورة منســجمة ومتماســكة حتى يســتطيع القارئ أن يتتبّعها بشوق ونهم دون أن يعانى صعوبة فى فهمها ورصد أحداثها.

ومن مجموعة من الأحداث المترابطة تتشكّل حبكة القصّة التى «هى سلسلة الحوادث التى تجرى فيها، مرتبطة عادة برابط الســببيّة.» (المصدر نفسه: ٦٣)، وهى المجري الذى تندفع فيه الشخصيّات والحوادث حتى تبلغ القصّة نهايتها.

والســببيّة من المبادئ الفنية المهمة فى حبكة القصة التقليديّة بمعنى أنّ كلّ حادثة فى القصّة تــؤدى إلى الأخري بانتظام منطقى بحيث تحقّــق الحيويّة لحوادث القصّة وتجعل القارئ مشتاقاً لنهايات الحوادث، وذلك ليكون تطوّر القصّة طبيعيّاً لا يخرج عن نطاق العليّة والمعقوليّة والاحتمال.

والحــوادث فى رواية الهجــرة كثيرة ومتعدّدة تجمعها وحدة متماســكة ومنســجمة تشــكّل الحبكــة الفنيّة فيها ومن هذه الحوادث وفــاة أبى طالب عم النبى وخديجة بنت خويلد زوجته، و ذهابه إلى الطائف وما حدث له فيها واســتماع الجن للآيات القرآنية وقصة الإســراء والمعراج وموقف القريش منها، ثم اللقاء بين رسول اللهr ووفد الخزرج وإســلامهم و بيعة الأنصار فى العقبة ومؤامرة قريــش للفتك بالنبى ومبيت على بن أبى طالب فى فراشه ثم هجرته مع أبى بكر الصديق إلى المدينة وما حدث لهم فى الطريق ثم استقراره فى المدينة وهجرة الصحابة إليها والمؤاخات بين المهاجرين والأنصار ومواقف اليهود والمنافقين العدائيّة تجاه رســول الله والمسلمين فى المدينة المنوّرة والتعرض لبعض قوافل قريش الراجعة من بلاد الشام.

وهناک ترابط وانسجام منطقی علي مبدأ السببيّة بين كثير من الأحداث التی حدثت فی الرواية، ولكن بما أن الرواية رواية تاريخيّة شـخصيتها الأصليّة هی شخصيّة رسول الله المؤيّـد مـن جانب الله تعالی بالخوارق والمعجزات، نـري فيها بعض الحوادث التی تنسب إلی أسباب غير مادّية ولا يمكن توجيهها بالأسباب المادّية المألوفة للبشر، وذلک مثل قصة الإسـراء والمعراج، واستماع الجن للآيات القرآنيّة، وقصة أم معبد وما حدث لسراقة حينما أتبع النبی وأراد أن يأخذه ويسلّمه للقريش.

ويسـتخدم السحار أدوات فنية مختلفة لتطوير حوادث رواياته وإيجاد الترابط بينها وبين الشخصيات، وتشويق القارئ لمتابعة القراءة. فقد يعمد إلی الصراع فيطوِّره، ويبنی عليه الحوادث وممّا سـاعده علي ذلک كثـرة الصراعات فی الفترة التاريخية التی تجری فيها أحداث الرواية. فهناک صراع فكری ومادی بين رسول الله(ص) وصناديد قريش، وبين المسلمين والمشركين فی مكة المكرّمة، وبين الأوس والخزرج، وبين المسلمين واليهود والمسـلمين والمنافقين فی المدينة. ويستفيد أيضا من عنصر الحوار كثيرا بحيث قلّما تقرأ صفحة لايوجد فيها الحوار، كما أنه قد يستفيد فی بعض المواضع من عنصر الرؤيا ويبنی عليـه الحوادث، فيبنی مثلا صيغـة الأذان المصرّح بها فی المصـادر الحديثيّة علي رؤيا منامیّـة رآها عبدالله بن زيـد وعمر بن الخطاب فيقول: «ودخل عبـدالله بن زيد لينام فطاف به وهو بين نائم ويقظان رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسـا فی يده، فقال ابن زيد:

– يا عبدالله أتبيع الناقوس؟

– وما تصنع به؟

– ندعو به إلی الصلاة.

– أفلا أدلّک علي ما هو خير لک؟

– بلي.

– تقول:... » ويذكر صيغة الأذان (جودة السحار، الهجرة: ١٦٢)

وعندمـا يمـسّ الأذان أذنی عمر بن الخطاب، يتعجّب ويذهب إلی رسـول الله(ص) فيخبره عمّا رآه عبدالله بن زيد فی المنام، فيقول عمر: «والذی بعثک بالحق يا رسول الله

لقد رأيت مثل ما رأي عبدالله بن زيد.» (المصدر نفسه: ١٦٣)

٣-٤- الزمان والمكان

يعتبر الزمان من العناصر الأساسية التى تتطوّر من خلالها الأحداث والشخصيات فى الرواية. وتسير الأحداث غالبا بترتيب زمنىّ متتابع، ولكن قد تحدث فى ترتيب عنصر الزمان اختلالات سمّيت بـ«المفارقة الزمنية». وتظهر هذه المفارقة الزمنية فى الرواية بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق» (سرباز، ١٣٩٤ش: ٨٥).

وبما أن هذه الرواية رواية تاريخيّة تقليديّة تتطرّق إلى حقبة تاريخيّة محدّدة وهى قبيل الهجرة النبويّة إلى قبيل غزوة بدر الكبري فى شهر رمضان السنة الثانية للهجرة، اتبع فيها الكاتب التسلسل الزمنى، فتجرى الأحداث فيها بترتيب زمنى غالبا ولكن مع ذلك قد استفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنيّة بشكل «الاسترجاع والاستذكار» و«الاستباق والاستشراف». واستخدام هذه التقنية الروائية تؤدى إلى توسيع الفضاء الزمنى فى الرواية وتشويق القارىء ليتابع أحداثها بشوق ونهم. ففى الفصل الرابع والعشرين حينما يتحدّث عن انطلاق رسول الله(ص) والمهاجرين فى طريق الأبواء ليعترضوا عيرا لقريش وبنى ضمرة لعلّهم يستولون علي ما يعوّض لهم بعض ما صادره المشركون من أموال المهاجرين فى مكة المكرّمة، يرجع إلى الوراء ويتحدث عن استذكار رسول الله(ص) حينما كان يرجع من يثرب هذا الطريق مع أمّه آمنة بعد أن زارا قبر أبيه. «وتذكّر عليه السلام وهو فى الطريق ذلك اليوم الذى كان عائدا فيه من يثرب مع أمّه آمنة بعد أن زارا قبر أبيه فى دار عدى بن النجّار. فقد هبّت عاصفة هوجاء كادت تخلع الهودج، فمالت أمّه عليه واحتوته بين أحضانها لتحميه من الريح الصرصر العاتية... لقد ماتت فى الطريق ولم يكن معه إلاّ أمّ أيمن، فحمل الجثّة الغالية معه فى الهودج حتى دخل الأبواء ليدفنها هناك بعيدة عن قبر زوجها، بعيدة عن أهلها، غريبة فى الأرض لن تجد من يزور قبرها.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٣٩) ويوجد هذا النوع من المفارقة الزمنيّة فى صفحات ٩، ٨٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٦٥، ٢٧٤ و٢٧٦ من الرواية أيضا.

وقد يترك الترتيب الزمنى للأحداث ويستشرف المستقبل. فعندما التحق سراقة

برسـول الله وأبى بكر الصديق فى طريقهما إلى المدينة، يسـتبق النبى الزمن ويستشرف المستقبل ويقول لسراقة:

«- كيف بک يا سراقة إذا تسوّرت بسوارى كسري؟

فقال سراقة فى دهش:

- كسري بن هرمز؟

- نعم.» (المصدر نفسه: ١١٣)

والمكان أيضا من العناصر الأساسـية فى الرواية وهو الظـرف الذى يتمّ فيه وقوع الحوادث وحركة الشخصيات، ويمثّل الفضاء المكانى ركناً مهماً فى البناء القصصى «وإنّ ظهور الشـخصيات ونمو الأحداث التى تسـاهم فيها هو ما يساعد علي تشكيل البناء المكانى فى النص.» (بحراوى، ١٩٩٠م: ٢٩). وقد استخدم السحار هذا العنصر من خلال تطوير أحداث الرواية وتحريک شخصيّاتها ولكن بالنظر إلى ماهيّة هذه الرواية، اكتفي بالأماكن التاريخيّة التى كانت مسـرحا لأحداث السيرة النبوية فى هذه الفترة التاريخيّة. فمن الأماكن التى وقعت فيها أحداث الرواية، مكة المكرّمة ويثرب وشـعب أبى طالب وسـوق المجنّة وسـوق ذى المجاز وسـوق عكاظ وبيت أم هانىء والكعبة وبيت النبى وبعض الصحابة وغار ثور فى مكة ومسـجد قبا وبيوت بعض الأنصار ومسجد النبى فى المدينة المنورة و... وقلّما يقوم السـحار بوصف هذه الأماكن وصفا ظاهريا، بل يكتفى بتصويـر الفضاء العام السـائد عليها، فيصـف مثلا الحالة العامة لمدينـة يثرب قبل أن يهاجر إليها رسـول الله(ص) قائلا: «كانت يثرب تموج بالعداوات فالصراع يشتجر فيها علـي الدوام بين اليهود والعرب أو بين الأوس والخزرج. وقد حاولت كل من القبيلتين أن تسـتعين بأنصـار من الخارج مـرّة وباليهود مرّة أخري فلم يعـرف المجتمع اليثربى الاستقرار.» (جودة السحار، الهجرة: ٤٩)

٥-٣- الحوار

ويعتبر الحوار ركناً مهماً من أركان الرواية يعتمد عليه الكاتب فى رسـم شخصيّاته وكشـف أعماقها والتعبير عن آرائها وأيديولوجياتهـا ونظرتها إلى الحياة، ولذلک فإن

الرواية «تتطلّب أشخاصاً متكلّمين يجلبون معهم خطابهم الأيديولوجى الخاص المتميز.» (هاوثورن، ١٩٩٨م: ١٦٦)

والحوار يؤدى دوراً مهماً وعميقاً فى إضفاء الحيويّة علي السياق السردى والبناء الروائى، خاصة فى الرواية التاريخية. فضلاً علي ذلک فإنّ الحوار السلس المتقن قد يكون مصدراً من أهم مصادر المتعة فى الرواية حيث تتصل بواسطته الشخصيات بعضها ببعض اتصالاً صريحاً مباشراً.

ويكثر السحار من استخدام الحوار فى رواية الهجرة بحيث قلّما نجد صفحة من الكتاب تخلو من الحوار وذلک لرسم شخصياته وكشف أعماقها والتعبير عن آرائها ونظرتها إلى الحياة، وأيضا لتطوير الأحداث والتغلّب علي الرتابة السردية التى قد تملّ القارىء. فهناک حوار بين رسول الله(ص) وبين المشركين خاصة أبى جهل وبينه وبين الصحابة حول قضية الإسراء والمعراج، وحوار بينه وبين خولة بنت حكيم حول زواجه بعد وفاة أم المؤمنين خديجة، وأيضا حواره مع وفد الخزرج و دعوتهم إلى الإسلام، وهناک أيضا حوار بين رسول الله(ص) وبين اليهود والمنافقين فى المدينة كما أن هناک حوارات مختلفة بين المهاجرين والأنصار وبينهم وبين المنافقين واليهود.

٤- نتائج البحث

يعتبر عبد الحميد جودة السحار من كبار كتّاب القصّة والرواية فى الربع الثالث من القرن العشرين وكتب آثارا قصصيّة مختلفة من رواية تاريخية واجتماعية، وقصص قصيرة، وقصص للأطفال. ومن أهم ما كتبه فى مجال الرواية التاريخية هو موسوعة «محمد رسول الله والذين معه» فى عشرين جزء.

كتاب الهجرة هو الجزء الحادى عشر من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» تحدّث فيه السحار عن هجرة رسول الله(ص) وأصحابه من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة واستعان فيه من ناحية الشكل الفنى بالسرد القصصى. ويعتمد فيه لعرض حوادث القصة وتطويرها، ورسم شخصياتها، علي طريقة السرد المباشر، أى السرد بضمير الغائب وفى بعض المواضع المحدودة يعتمد علي السرد بضمير المتكلم.

وشخصيات السحار فى رواية «الهجرة» شخصيات واقعيّة أخذها من التاريخ والشخصيّة الأصليّة فيها هى شخصيّة رسول الله(ص) التزم السحار فى تصويرها بالواقعيّة ولم يسمح لنفسه أن يطلق عنان خياله فى هذا المجال. ويستفيد السحار لتقديم شخصياته من الطريقة المباشرة أوالتحليلية، وقد يعمد إلى الطريقة غير المباشرة أوالتمثيلية.

والحوادث فى رواية الهجرة كثيرة ومتعدّدة تجمعها وحدة متماسكة ومنسجمة تشكّل الحبكة الفنّيّة فيها. وهناک ترابط وانسجام منطقى علي مبدأ السببيّة بين كثير من الأحداث التى حدثت فى الرواية، ولكن بما أن الرواية رواية تاريخيّة شخصيتها الأصليّة هى شخصيّة رسول الله، نري فيها بعض الحوادث التى تنسب إلى أسباب غير مادّية ولا يمكن توجيهها بالأسباب المادّية المألوفة للبشر. ومن الأدوات الفنيّة التى يستخدمها السحار لتطوير الأحداث وإيجاد الترابط بينها وبين الشخصيات، هو الصراع والحوار والرؤيا.

اتبع السحار فى هذه الرواية التسلسل الزمنى، فتجرى الأحداث فيها بترتيب زمنى غالبا ولكن مع ذلک قد استفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنيّة بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق». واكتفي السحار بالأماكن التاريخيّة التى كانت مسرحا لأحداث السيرة النبوية فى الفترة التاريخيّة المحدّدة.

وأكثر السحار من استخدام الحوار فى رواية الهجرة بحيث قلّما نجد صفحة من الكتاب تخلو من الحوار بين الشخصيات المختلفة.

المصادر والمراجع

أميرى، جهانگير وآخرون. (١٣٩٣ش). «تحليل داستان وسوسة الشيطان جودة السحار باتوجه به تكنيک‌هاى داستان نويسى معاصر.» مجلة نقد أدب معاصر عربى. السنة الرابعة. العدد٩. صص٥١-٧٢.

بحراوى، حسن. (١٩٩٠م). بنية الشكل الروائى. ط١. بيروت: المركز الثقافى العربى.

البيومى، محمد رجب. (١٤٢٢ق). «عبدالحميد جودة السحار فى قصصه الإسلامى.» مجلة منبر الإسلام. العدد٦٥٢. صص١٢٤-١٣٠.

جرار، مأمون فريز. (١٩٨٨م). خصائص القصّة الإسلاميّة. ط١. جدّة: دار المنارة.
جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). أبو الأنبياء ابراهيم. القاهرة: دار مصر للطباعة.
جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). القصة من خلال تجاربى الذاتيّة. القاهرة: دار مصر للطباعة.
جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). الهجرة. القاهرة: دار مصر للطباعة.
حسين، طه. (لاتا). علي هامش السيرة. ط٢٥. القاهرة: دار المعارف.
خليل، ابراهيم. (٢٠١٠م). بنية النص الروائى. ط١. الجزائر: الدارالعربية للعلوم ناشرون.
زيد، صفوت يوسف. (١٩٨٥م). التيّار الإسلامى فى قصص عبدالحميد جودة السحار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
سرباز، حسن وعبدالله رسول نژاد وسودابه خسروى زاده. (١٣٩٤ش). «زمان پريشى در رمان چراغهاى آبى حنا مينه.» مجله انجمن ايرانى زبان و ادبيات عربى. شماره ٣٤. صص ٨٣-١٠٤.
شلبى، محمد. (١٩٧٤م). «آخر حديث مع السحار.» مجلة الجديد. العدد٥١. صص٤٦-٤٨.
صابرى، على ومصطفي يگانى. (١٣٩٤ش). «شخصيت انسان متدين در رمانهاى اجتماعى عبدالحميد جودة السحار.» مجلة نقد أدب عربى. العدد٨. صص٩٧-١١٦.
قرون، السيد حسن. (١٤٠١ق). «كتاب الشهر / الهجرة.» مجلة الأزهر، السنة الثالثة والخمسون، العدد١. صص١٩٥-٢٢٢.
الكردى، عبد الرحيم. (٢٠٠٢م). الراوى والنص القصصى. ط١. القاهرة: دار النشر للجامعات.
لحميدانى، حميد. (١٩٩١م). بنية النص السردى. ط١. بيروت: المركز الثقافى العربى.
مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨). فى نظريّة الرواية بحث فى تقنيات السرد. الكويت: دارالمعرفة.
مير صادقى، جمال. (١٣٦٤ش). عناصر القصّة. ط١. طهران: نشر شفا.
نجم، محمد يوسف. (١٩٧٩م). فن القصّة. ط٧. بيروت: دار الثقافة.
هاوثورن، جيريمى. (١٩٩٨م). مدخل إلى دراسة الرواية، تعريب نايف الياسين. ط١. دمشق: مؤسسة النورى.
وادى، طه. (١٩٩٤م). صورة المرأة فى الرواية المعاصرة. ط٤. القاهرة: دار المعارف.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی